رؤية استراتيجية لأنعاش السياحة الدينية لرفد موازنة الدولة

الباحث: عادل جبر ديوان
مدير عام الدائرة الإدارية/ وزارة الثقافة والسياحة والآثار

أ.د. قاسم محمد عبيد الجنابي
كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين

يستعرض البحث دور السياحة الدينية في تحقيق النمو الاقتصادي، حيث يقدم الاطار المفاهيمي لهذا النوع من السياحة ويستعرض الآثار المباشرة وغير المباشرة لها. يتناول المبحث الثاني التحديات والفرص التي تواجه السياحة الدينية، بما في ذلك الاقتصاديات الراهنة ومعوقاتها في العراق. يركز المبحث الثالث على تصميم برنامج لتحقيق تعظيم الموازنة ويقدم تحليلًا لعوائد وأرباح هيئة السياحة، مع استكشاف حلول لمعوقات السياحة الدينية وتقديم توصيات لتحسين وضعها في العراق.

الكلمات المفتاحية: سياحة دينية، استراتيجية، تنمية اقتصادية، ميزانية الدولة، التسويق السياحي.

The research reviews the role of religious tourism in achieving economic growth, as it presents the conceptual framework for this type of tourism and reviews its direct and indirect effects. The second section deals with the challenges and opportunities facing religious tourism, including the current economies and their obstacles in Iraq. The third section focuses on designing a program to maximize the budget and provides an analysis of the tourism authority's revenues and profits, while exploring solutions to the obstacles of religious tourism and providing recommendations to improve its situation in Iraq.

Keywords: religious tourism, strategy, economic development, state budget, tourism marketing.

الاستلام	الارجاع	القبول
2024/3/6	2024/4/17	2024/5/20

المقدمة

مع تزايد الاهتمام بالسياحة الدينية كوسيلة لتعزيز السياحة وتعزيز الاقتصاد، أصبحت الحاجة ملحة لوضع استراتيجيات فعّالة لاسترجاع الحركة السياحية وتعزيز إيراداتها. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العوامل التي تؤثر على السياحة الدينية واقتراح استراتيجية شاملة لإعادة تنشيط هذا القطاع، بهدف تعزيز موارد الدولة وتحسين موازنتها. ستتم مراجعة النماذج الناجحة في دول أخرى وتحليل كيفية تطبيقها بنجاح في السياق المحلي، مما يمكن من وضع خطة عمل قابلة للتنفيذ والتي تسهم في إعادة إحياء حركة السياحة الدينية وتعزيز دخل الدولة من هذا القطاع الهام.

تبين كافة المؤشرات ان العراق يمكن ان يصبح مركزاً سياحياً رائداً، لاسيما في قطاع السياحة الدينية، بسبب مكانته الدينية والتاريخية والحضارية، لاحتضانه معالم حضارية موغلة في القدم قبل الاسلام وبعده، فضلاً عن مقامات لمختلف الأديان السماوية وغير السماوية البارزة، منها مراقد الانبياء (ابراهيم ونوح ويونس وجرجيس وهود وصالح وذو الكفل النبي عزير) ومراقد أئمة أهل البيت (عليهم السلام): الامام علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في محافظة النجف الأشرف، والإمام الحسين وأخيه العباس (عليهم السلام) في محافظة كربلاء المقدسة، والامامين موسى بن جعفر الكاظم ومحمد الجواد (عليهم السلام) في مدينة الكاظمية، والامامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهم السلام) في صلاح الدين، فضلاً عن مرقدي الامام أبي حنيفة النعمان والشيخ عبد القادر الكيلاني في محافظة بغداد.

يمكن للسياحة الدينية أن تؤدي دوراً مهماً في ازدهار اقتصاد العراق والنهوض بمستوى الخدمات الانسانية والاجتماعية واقامة البنى التحتية وتوفير مستوى معيشي مقبول للسكان يدعم مستلزمات الامن والاستقرار والتقدم، ان ذلك يتطلب اعتماد التخطيط العلمي السليم لتطوير الامكانات السياحية الكبيرة لاسيما في قطاع السياحة الدينية، التي تجعل منها مصدر مهم للدخل الوطني وتحقيق الرفاهية للمجتمع، حيث جعلت العديد من الدول تعتمد عليها في زيادة دخلها من العملات الاجنبية وتعزيز مكانتها ودورها السياسي والاقتصادي.

المبحث الأول: الاطار المفاهيمي للسياحة الدينية

اولاً: تعريف السياحة الدينية: Religious Tourism

تُعرف (السياحة الدينية) بأنّها: بعض الاماكن الدينية للتبرك أو الحج أو لأداء واجب ديني او للتعرف إلى التراث الديني لدولة ما، وتهدف للحصول على اشباع رغبة روحية دينية الى جانب

الترويح، والسياحة الدينية هي: (الوازع الديني الذي يدفع الإنسان للسفر، حيث تقوم السياحة الدينية سواء أكانت داخلية أم خارجية إلى تأجيج العاطفة الدينية، والرغبة في إشباع تلك العاطفة) ، وان تطور الوازع الديني عند المسلمين ادى إلى السفر سنوياً لأداء طقوس الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس في فلسطين، والمراقد الدينية لآل بيت النبي في العراق، حيث يُعدّ العراق مركزاً عالمياً للإشعاع الديني لمختلف الأديان السماوية، وحتى الاديان غير السماوية.

حيث ان المراقد الدينية تُزين جميع محافظات العراق فهي أرض الانبياء والاولياء والصالحين، وتُعرف (المقامات الدينية) بأنّها: الأمكنة المباركة التي صلى فيها الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين، وانّ الانسان بطبيعته يتطلع بروحه إلى فضاء المراقد الدينية بوصفها مكان للعبادة والتأمل، وعزله عن المظاهر المادية والدنيوية، ويعرج به إلى التقرب من الخالق لتنقية النفس والروح مما علق بها من ذنوب. وقد نجهل الكثير عن المراقد الموجودة في العراق، لغياب الاعلام عن إظهار معالمها وأهميتها الدينية والحضارية والثقافية، فدائرة السياحة الدينية في العراق قد تكون كسولة أو متغافلة عن الاهتمام وتوجيه الأنظار بما تزخر فيه أرض العراق من مواقع دينية، حيث تحتضن محافظات العراق بين ذراعيها مقامات دينية مطمورة تحت غبار الزمان والمكان، وهي طاقات وثروات سياحية وآثار، وإذ ما سلطت الأضواء عليها أصبحت مركز إشعاع حضاري يعود نفعه على المواطنين المحليين، وعلى قطاع السياحة العراقي. وبالنظر للإهمال الذي تُعانيه المقامات الدينية من مختلف الأديان وافتقارها لأبسط الخدمات التكميلية، لذلك فيؤممها القليل من الزوار في المناسبات والأعياد الدينية.

ثانياً: الآثار المباشرة للسياحة الدينية

أ: أثر السياحة الدينية في الدخل الوطني

يتكون الناتج الوطني من خلال الفعاليات التي تمارسها القطاعات الانتاجية والخدمية على مدار السنة، والسياحة الدينية تمارس أنشطتها من خلال وحداتها الخدمية المتمثلة بالفنادق، المطاعم، شركات السفر والسياحة، سائط النقل.. الخ، والتي تقوم بدورها بمزج عناصر الإنتاج وتحويلها إلى مجموعة خدمات تباع لزوار العتبات المقدسة.

إن الدخل الناتج عن السياحة الدينية، هو مقدار ما ينفقه الزوار مقابل الخدمات أثناء رحلاتهم لزيارة العتبات المقدسة، والذي يعد من زاوية أخرى، إيراداً للوحدات الخدمية العاملة في مجال السياحة الدينية.

هناك العديد من الدول تُعدّ السياحة بالنسبة لها أحد المصادر الرئيسية في تكوين دخلها الوطني، ومن الممكن أن يكون للسياحة الدينية شأن كبير في الناتج القومي العراقي بما تمتلكه من مقومات حضارية اثرية تتمثل: بالمدن الدينية المقدسة والأماكن الدينية الأخرى، القادرة على استقطاب ملايين الزوار المسلمين وغيرهم سنوياً.

ب: أثر السياحة الدينية في ميزان المدفوعات

يصاحب عملية استضافة الزوار القادمين إلى العراق بهدف زيارة العتبات المقدسة، دخول مقدار كبير من العملات الأجنبية، وبذلك تكون السياحة الدينية مصدراً مهماً لكسب العملات الأجنبية تدعم فيه ميزان المدفوعات، وفي هذا الصدد يجب مراعاة إجراء موازنة ما بين العائد من العملات الأجنبية بواسطة الزوار الوافدين للسياحة الدينية من جهة، وما ينفق بالعملات الأجنبية على استيراد مستلزمات الإنتاج المستخدمة من قبل المنشآت السياحة الدينية من جهة أخرى، وحصيلة الفارق بين العائد والإنفاق هي التي تقرر دور السياحة الدينية في ميزان المدفوعات، ففي حالة تفوق العائد، يكون هناك فائض في العملات وتكون العملية ايجابية، وفي حالة تفوق الإنفاق يكون هناك عجز وتكون العملية سلبية.

ج: أثر السياحة الدينية في الميزانية الحكومية

يمكن للسياحة الدينية أن تكون مصدراً مالياً مهماً لخزينة الدولة عن طريق الإيرادات التي تحققها الرسوم المستوفاة من الزوار عن الخدمات المقدمة لهم، لاسيما إذا اقتنع الزائر بأن هذه الأموال سوف تنفق أيضاً لأغراض تطوير المراقد والمواقع الدينية والمؤسسات الخدمية التابعة لها. وتعتبر الضرائب والرسوم التي تفرض على المشاريع السياحية مصدراً مهماً لميزانية الدولة.

د: أثر السياحة الدينية في توفير فرص العمل

تنتمي صناعة السياحة إلى قطاع الخدمات. وهذا يعني أن النشاط السياحي يمتاز بدرجة عالية من الاعتماد على الجهود البشرية المتمثلة بعنصر العمل، ولا يمكن إحلال المكننة محل عنصر العمل إلا في حدود نطاق ضيق كاستخدام الحاسوب الالكتروني، وهنا يمكن القول أن للسياحة قابلية فائقة على إيجاد فرص عمل جيدة ضمن حدود القطاع السياحي.

هـ: أثر السياحة الدينية في إعادة توزيع الدخل وتنشيط التنمية جغرافياً

في اغلب الأحيان يتم تنفيذ المشاريع التنموية في المدن الكبيرة والكثيفة السكان، ويكون ذلك على حساب المدن الصغيرة والأرياف والأماكن النائية، وهذا يؤدي إلى التوزيع غير العادل للتنمية وبالتالي ينعكس على دخل الفرد والمجتمع المحلي.

إذ ما علمنا انّ في العراق تتوزع المراقد الدينية على المدن الدينية الكبيرة ومنها: محافظة كربلاء والنجف الاشرف وبغداد وصلاح الدين، وكذلك في المدن الصغيرة والأرياف والأماكن النائية كما هو في مدن الحمزة والقاسم وغيرها مثل مناطق الحر وعون بن عبد الله وأحمد بن هاشم وأقدم كنيسة في العالم في محيط مركز مدينة كربلاء المقدسة، وعليه نرى المناطق البعيدة عن مراكز المدن تعاني من مستوى معيشي منخفض.

هنا يأتي دور السياحة الدينية في توزيع عادل للدخل والمشاريع التنموية في كافة المناطق النائية والمدن الصغيرة والكبيرة، ولاسيما مشاريع الطرق والنقل والخدمات كالأسواق والفنادق والمطاعم والمرافق السياحية وشركات السفر والساحة.. وغيرها.

ثالثًا: الآثار غير المباشرة للسياحة الدينية

أ: الأثر المضاعف للسياحة الدينية

إن المبالغ التي تنفق من قبل زوار المدن الدينية المقدسة، والتي تكون إيراداً لأصحاب المشاريع السياحية، يُعاد إنفاقها اكثر من مرة، وهكذا فإن الدخل المتحقق من نشاط السياحة الدينية يتضاعف في نهاية الأمر لعدة مرات بحكم تأثير المضاعف الاقتصادي، وبالتالي مضاعفة الدخل المتحقق عن نشاط السياحة الدينية، لابد من تنمية القطاعات الأخرى التي تمد السياحة الدينية بعناصر الإنتاج، والمتمثلة بالدرجة الأساس بقطاعات البناء والإنشاء والصناعات المحلية المتعددة وخاصة الحرف والصناعات الشعبية التي يمكن الاعتماد عليها في سد حاجات السوق المحلية.

ب: أثر السياحة الدينية في تنشيط حركة الإنتاج والاستثمار في القطاعات الأخرى

للسياحة عموماً قدرة على خلق سلسلة من العمليات والنشاطات الإنتاجية (بسبب امتدادات الطلب السياحي المعقدة المباشرة منها وغير المباشرة إلى أكثر فروع وقطاعات الاقتصاد الوطني) وتسهم في قيام العديد من الصناعات الثانوية والجانبية التي تتصل بأكثر من مائة وخمسين صناعة مختلفة.

وبناءً على ذلك فإن آثار السياحة الدينية تمتد إلى القطاعات الأخرى، وبذلك تكون محركاً قوياً للاقتصاد الوطني العراقي.

ج: أثر السياحة الدينية في تنمية مشاريع البنى التحتية وتطويرها

لإبراز الجوانب الحضارية المتميزة أمام زوار المدن الدينية المقدسة في العراق، لابد من تنفيذ عدد من مشاريع البنى التحتية التي توفر جانباً مهماً من مستلزمات الحياة العصرية، ليس ضمن حدود بلديات المراقد المقدسة فحسب، بل في كل المواقع التي يتواجد فيها الزوار، وتشمل مشاريع الخدمات كافة، وإن هذه المشاريع لا تقتصر على استخدامات الزوار لها فقط، بل تشمل سكان المدن المقدسة والمناطق المحيطة بها.

د: أثر السياحة الدينية في تنمية البنى الفوقية وتطويرها

إن تنمية المناطق الدينية واظهارها بمظهر لائق أمام الزوار والسياح، على الحكومات الوطنية والمحلية الاهتمام بالبنى الفوقية للبلد عموماً، وللمنشآت السياحية والمراقد الدينية خصوصاً، والاهتمام لا يقتصر على بناء مشاريع البنى الفوقية وتوفيرها، بل يتعداه إلى الاهتمام الكبير بالبنى الفوقية التي تعنى بنوعية الأبنية وتصاميمها ومظهرها الخارجي، ولاسيما المراقد الدينية التي تُعد من أبرز معالم الحضارة الإسلامية في العراق والعالم الإسلامي، فضلاً عن المقامات والمزارات غير الإسلامية في العراق.

هـ: أثر السياحة الدينية في تحسين البيئة وتطوير المواقع التاريخية والأثرية

إذ ما علمنا أن المراقد المقدسة والمواقع الدينية والاثرية تشكل عنصر الجذب الأساس في مجال السياحة الدينية، إلا أن تحسين البيئة وتطوير المواقع التاريخية والأثرية تعد من الأولويات المهمة التي لا غنى عنها كونها مكملة للسياحة الدينية.

فالسياحة الدينية التي يمارسها الزائر لتأدية مراسيم الزيارات الدينية، يرغب بممارسة بعض الأنشطة الثقافية والترويحية، منها الاطلاع على المعالم التاريخية والأثرية الموجودة ضمن حدود المناطق الدينية، ومجاميع كبيرة من الزوار تتضمن برامجهم السياحية قضاء بعض الوقت للراحة والاستجمام في البساتين والمتنزهات، وزيارة المواقع الاثرية والتراثية، وجزءاً آخر من الوقت يخصص للتسوق في الأسواق القديمة.

هذا يتطلب الاهتمام بالجوانب التي تم ذكرها في الاعرض المرافق للدراسة والمتضمن:

1. حماية البيئة من التلوث.

2. زراعة الغابات الاصطناعية والأحزمة الخضراء وحماية البساتين.
3. إقامة الحدائق العامة والمتنزهات وملاعب الأطفال وبالخصوص المتنزهات الخاصة بالنساء والأطفال فقط.
4. ترميم وصيانة المواقع التاريخية والاثرية والتراثية وتحسين الأحياء القديمة.

و: أثر السياحة الدينية في الإعلام

يُعدّ الإعلام أحد الوسائل الأساسية للتعريف بالمنجزات الحضارية للبلد أمام العالم، وتخصص لهذا الغرض أموال طائلة من ميزانية الدولة سنوياً، ويُعد الزائر أو السائح أفضل وسيلة دعائية إعلامية مجانية صادقة تعكس واقع التطور الموجود في البلد عند عودته إلى بلده، وإن استقبال ملايين الزوار والسياح سنوياً، يعني كسب تأييد عشرات الملايين من أبناء مختلف البلدان، إذا ما تم استضافة الزوار والسياح بطريقة حضارية ولائقة وكسب رضاهم من خلال حسن الضيافة والمعاملة وتوفير كافة الخدمات والمستلزمات الضرورية لهم.

إذ ما علما ان هناك آثار أخرى للسياحة الدينية يجب أن تحظى بالاهتمام والدراسة والتقييم وهي:

1. أثر السياحة الدينية في المستوى العام للأسعار

في الزيارات الدينية ومنها الزيارة الشعبانية، يتدفق مئات الآلاف من الزائرين على المدن الدينية المقدسة خصوصاً مدينة كربلاء المقدسة، ويقابل هذا العدد الهائل من الزائرين ارتفاع كبير في الأسعار وبالذات المواد الاستهلاكية، وتخلق حالة من التضخم النقدي، وتنعكس آثار هذا التضخم وبشكل سلبي على سكان المدن الدينية من ذوي الدخل المحدود، مما يؤدي إلى انخفاض في مستواهم المعيشي، لذلك لابد من إيجاد طريقة توفر المواد الاستهلاكية لسكان المدن الدينية المقدسة، ولاسيما من ذوي الدخل المحدود، بأسعار لا تؤثر على مستواهم المعيشي، كإقامة الجمعيات التعاونية الاستهلاكية تخصص لأبناء المدينة فقط.

2. أثر السياحة الدينية في قضايا التبعية الاقتصادية

تتمثل هذه الحالة عندما يكون تشغيل المرافق السياحية معتمداً بالأساس على الزوار القادمين من بلدٍ معين كإيران مثلاً، وبالتالي فإن الأنشطة الاقتصادية في المدن الدينية المقدسة ستتأثر سلباً أو إيجاباً باقتصاديات ذلك البلد، فتنتعش السياحة الدينية في المدن المقدسة عندما يكون

ذلك البلد في حالة من الرخاء الاقتصادي، والعكس صحيح، وقد تحدث ظروف استثنائية تحول دون وصول الزوار من ذلك البلد لأسباب عديدة مما يولد تذبذب كبير في الأنشطة الاقتصادية للمدن الدينية.

وعليه يجب التنويع الجغرافي لمصادر الطلب على السياحة الدينية في البلد، وعدم الاعتماد بصورة رئيسية على بلدٍ واحد، وهذا يتطلب الترويج للسياحة الدينية في كافة البلدان الإسلامية والبلدان اغير الإسلامية.

3. الأثر الاجتماعي والثقافي للسياحة الدينية

نتيجة الاحتكاك والتعامل المباشر ما بين السكان المحليين من جهة، وزوار المدن الدينية القادمين من بلدان مختلفة ومتعددة الثقافات من جهة أخرى، سوف يطلع السكان على الثقافات الأخرى والمختلفة عن ثقافتهم، ويحدث امتزاج الثقافات مما يؤدي إلى اكتساب سكان البلد المضيف العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية وعلى مستويات مختلفة، وبتالي يؤثر إيجاباً أو سلباً على البيئة الاجتماعية للبلد المضيف، وبمعنى آخر فإنّ هذا الاحتكاك سيولد تغييراً في البيئة الاجتماعية والثقافية، وقد برهنت القرون الماضية بأن احتكاك سكان المدن الدينية مع القادمين لزيارة مراقدها المقدسة أدى إلى رفع المستوى الثقافي للسكان، وانعكس على التركيبة السكانية المتسامحة للمدن الدينية، كما كانت منطلقاً للكثير من الحركات الفكرية والسياسية والترجمة ودراسة اللغات والثقافات والعادات، وهذا ما نلاحظه على المجتمع العراق وكذلك المجتمع الهندي في التنوع الحاصل في الثقافات والحضارات.

المبحث الثاني: السياحة ودورها في تحقيق النمو الاقتصادي: التحديات والفرص

اولاً: الاقتصاديات الراهنة للسياحة الدينية:

لا شك أن ما يمتلكه العراق من ثراء واسع في منافذ السياحة الدينية وروافدها ومواقعها، ترتكز إلى مسار عريق من الجذور التاريخية، وحشد هائل من الآثار الحضارية النادرة. يتيح ذلك الحصول على مساعدات اقتصادية ومردودات مالية غير مسبوقة في تاريخ الأمم والشعوب، في حال تم تحسين التوظيف والاستغلال، وتبني الوسائل المثلى في تحقيق الآليات الإدارية الضامنة لتحقيق ذلك.

وبالإمكان التعرف على ملامح المعطيات الاقتصادية الراهنة لقطاع السياحة الدينية في العراق من خلال نقاط العرض التالية:

1: حجم الإسهام المالي للسياحة الدينية:

لتوصيف الوضعية الاقتصادية لقطاع السياحة الدينية في العراق، ومعرفة مدى مشاركته في الناتج المحلي الإجمالي (GDP) والناتج القومي الإجمالي (GNP) بشكل دقيق، كان يجب الاستناد إلى معلومات رسمية موثوقة يمكنها الفصل الرقمي والإحصائي بمشاركة القطاع السياحي العراقي في الناتجين المذكورين قياساً ببقية القطاعات الاقتصادية الأخرى. وذلك من جهة، ومشاركة قطاع السياحة الدينية في مجمل حصيلة القطاع السياحي العام قياساً ببقية الأنماط السياحية الأخرى من جهة ثانية. ولكن اصطدمت الدراسة بإشكاليتين رئيسيتين:

الأولى: ندرة البيانات والإحصاءات الرسمية الصادرة عن العراق في مجال السياحة الدينية بشكل خاص، وهو ما يعكس استمرار حالة الإهمال المؤسسي داخل العراق وشأن السياحة الدينية بشكل عام.

الثانية: وجود هوة شاسعة بين حجم الوصول السياحي المعلن للعراق من خلال المزارات والمناسبات السياحية الدينية من جهة، وحجم المردود الاقتصادي المتداول في بعض المؤشرات السياحية الرسمية نتيجة هذا الوصول من جهة أخرى، وهو ما يوقع الباحث في حيرة التوفيق بين الأرقام والمؤشرات على ندرتها لعدم توافر الإحصاءات الجازمة والموثوقة.(5)

وبنظرة مدققة سنجد أن العراق في الآونة الأخيرة قد أدرك الأهمية القصوى للقطاع السياحي كقطاع حيوي، يمكنه المشاركة بفاعلية في الاقتصاد القومي، ولكن هذا الإدراك ما يزال من الناحية الرسمية والعملية، مجرد رؤية نظرية لم تتبلور بعد إلى نهج اقتصادي صارم وحثيث، وهو ما يعد نتيجة طبيعية لاستمرار تدني كفاءة الأداء المؤسساتي، ومواصلة الإخفاق في إخضاع الإدارة الحكومية لمنطق الحساب الاقتصادي السليم.(6)

وعلى الرغم من ذلك، لدينا بعض المؤشرات الإيجابية التي لا يمكن إغفالها فيما يخص السياحة في العراق، خاصة فيما يتعلق بالسياحة الدينية والإسلامية مؤخرًا، ومن أهمها:

- تصنيف العراق ضمن أفضل الدول الإسلامية من حيث الأداء السياحي للعام 2015.
- ضمن أفضل 10 دول تتمركز فيها عائدات السياحة الدولية لدول منظمة التعاون الإسلامي بواقع 121.9 مليار دولار لهذه الدول مجتمعة، وبنسبة 87.5 % من إجمالي العائدات السياحية

للمنظمة وفقًا لتقديرات العام نفسه، وهو ما ينفي تهمة التراجع السياحي في العراق ويؤكد عكس ذلك."(7)

دخول القطاع السياحي العراقي عامة، وقطاع السياحة الدينية خاصة، ضمن اهتمامات خطط التنمية الوطنية العراقية وعلى رأسها خطة التنمية الوطنية 2018 – 2020 بعدما كشفته خطة التنمية الوطنية 2014 – 2020 وخطط أخرى موازية من إمكانات اقتصادية هائلة تنطوي عليها السياحة الدينية في البلاد، التي كان من بعض مظاهرها بلوغ عدد زوار العتبات المقدسة خلال عام 2020 مليون ونصف المليون سائح، وبواقع عائدات سياحية تجاوزت المليار دولار.(8)

تفوق نمط السياحة الدينية على ما سواه من أنماط السياحة العراقية على وفق مؤشرات بحثية حديثة، وهي المؤشرات التي تقر بالدور المهم للسياحة الدينية في النهوض الاقتصادي بالمدن السياحية الجاذبة، وتضعها في المرتبة الأولى بين أنماط السياحة العراقية بنسبة 80 % تليها السياحة الثقافية والأثرية بنسبة 15 % ثم سياحة الأعمال بنسبة 5 %.(8)

وعلى وفق إحصائيات العام 2017، فإن اقتصاديات القطاع السياحي العراقي ذي الصبغة الدينية تحتل أهمية قصوى لدى الطبقة العاملة في العراق حيث يعتمد عليها ما يقرب من 544 ألف شخص، في حين يشكل هذا القطاع 3 % من إجمالي الناتج المحلي، وبعائدات ممكنة ومتاحة تقدر بـ 5 مليارات دولار.(9)

ارتفاع معدلات النمو السنوي للقطاعات السياحية بالعراق – ومنها قطاع السياحة الدينية – ارتفاعاً ملحوظاً في السنوات الأخيرة، وتُظهر المؤشرات نمواً سريعاً لقطاع السياحة الثقافية مما يسهم في صالح السياحة الدينية، حيث تُعتبر السياحة الثقافية أحد فروع السياحة الدينية في كثير من الأحيان (10). وتؤكد أحدث المؤشرات ارتفاع معدلات النمو السنوي للسياحة الدينية بنسبة 7.8% خلال الفترة من 2014 إلى 2016. حيث ارتفع عدد الوافدين للسياحة الدينية من 904.7 ألف زائر في عام 2014 إلى 1.052 مليون زائر في عام 2016. في المقابل، ارتفعت معدلات النمو السنوي للسياحة الثقافية بنسبة 70% نتيجةً لزيادة أعداد الوافدين لهذا النمط من 27 ألف سائح في عام 2014 إلى 78 ألف سائح في عام 2016، وارتفاع إيراداتها بنسبة 31.2% من 218.4 مليون دينار عراقي شهريًا في عام 2014 إلى 286.6 مليون دينار في عام 2015(11). تشير الإحصائيات المتاحة للعامين 2015 و2016 إلى تطور مؤشرات البنية التحتية والإيرادات وعدد النزلاء وبقية المؤشرات للمرافق السياحية في مدن الجذب السياحي الديني ومواقع الذروة.

- عدد الفنادق ومجمعات الإيواء السياحي:

ازدادت نسبة المرافق السياحية بنسبة 14.5%، حيث ارتفعت من 1296 مرفقًا سياحيًا في عام 2015 إلى 1484 مرفقًا في عام 2016. وشكلت محافظة كربلاء النسبة الأعلى من هذه الزيادة بنسبة 44.9%، ثم محافظة النجف بنسبة 23.2%، تليها محافظة بغداد بنسبة 22.2%، والبصرة بنسبة 4.1%. يجب الإشارة إلى أن غالبية هذه المرافق مملوكة للقطاع الخاص بنسبة كبيرة تصل إلى 99.7% (12). ولاحظ أنه لم يحدث تغيير يذكر في المرافق السياحية الحكومية (جزر ومدن سياحية)، حيث بقي عددها ثابتًا وفقًا لإحصائيات العامين 2015/2014(13)."

ـ عدد النزلاء وليالي المبيت:

ارتفعت أعداد النزلاء من 4922 ألف نزيل عام 2015 إلى 7749 ألف نزيل عام 2016، وبنسبة زيادة قدرها 57.4%، وجاءت محافظة كربلاء في المقدمة من هذه الزيادة قياسًا ببقية المحافظات، وبنسبة قدرها 42.6%؛ بفعل تأثير السياحة الدينية، ثم محافظة النجف بواقع 29.7%، بعدها محافظة بغداد بنسبة 22.6%، ثم البصرة 2.6%، وقريب من هذا أيضًا بالنسبة لليالي المبيت؛ فقد زادت ليال المبيت من 14294 ألف سرير/يوم عام 2015، إلى 16736 ألف سرير/يوم عام 2016 وبنسبة زيادة قدرها 17.1%، وكما هو غالب على مدن السياحة الدينية فقد احتلت محافظة كربلاء الأسبقية من حيث عدد ليالي المبيت بنسبة 53.0%، تلتها النجف بواقع 25.1%، ثم بغداد 15.7%، ثم كركوك 2.6%، فالبصرة بواقع 2.5% من إجمالي عدد الليالي (14).

- الفرص التي تقدمها السياحة الدينية:

السياحة تعتبر مصدرًا هامًا للفرص الاقتصادية على مستوى العالم، وتشكل محورًا لتعزيز النمو الاقتصادي للعديد من الدول. من بين الفرص التي تقدمها السياحة:

1. تعزيز التوظيف وتشغيل الايادي العاملة: يُعتبر قطاع السياحة مولدًا للوظائف بشكل كبير، سواء في القطاع السياحي نفسه مثل الفنادق والمطاعم والمرافق الترفيهية، أو في القطاعات الأخرى المتصلة به مثل النقل والصناعات التقليدية والحرفية.

2. زيادة الإيرادات الوطنية للموازنة: يمكن للسياحة توليد إيرادات كبيرة للدول، من خلال رسوم الدخول والضرائب والمشتريات التي يقوم بها السياح خلال إقامتهم ولمختلف القطاعات منها التجارية والاقتصادية والاجتماعية.

3. تنمية البنية التحتية: يُحفز قطاع السياحة الاستثمار في البنية التحتية للدولة، مثل الطرق والمطارات والمنشآت السياحية، وهذا يساهم في تحسين جودة الحياة للمواطنين وجذب المزيد من السياح.

4. تعزيز التبادل الثقافي: توفر السياحة فرصة للتبادل الثقافي بين الشعوب، وتعزز فهم الثقافات المختلفة وتعزيز السلام والتعاون الدولي.

5. تنمية القطاعات الأخرى: يمكن للسياحة أن تعزز التنمية في قطاعات أخرى مثل الزراعة والصناعة المحلية والتجارة، من خلال زيادة الطلب على المنتجات والخدمات المحلية.

باستغلال هذه الفرص بشكل فعال، يمكن للدول تعزيز دور السياحة كمحرك للنمو الاقتصادي وتحقيق الاستدامة الاقتصادية على المدى الطويل.

ثانيا: معوقات السياحة الدينية في العراق

تتمتع العراق بتاريخ ثقافي وديني غني يعود لآلاف السنين، وتعتبر السياحة الدينية من أهم أشكال السياحة في البلاد. ومع ذلك، هناك العديد من المعرقلات التي تواجه تنمية قطاع السياحة الدينية في العراق، وتعوق تحقيق الاستفادة الكاملة من الإمكانات السياحية الرائعة التي يتمتع بها البلد:

1. المعوقات التشريعية

في العراق، تواجه السياحة الدينية العديد من التحديات التشريعية التي تؤثر سلبًا على تطوير هذا القطاع. من بين هذه المعوقات:

-**اللوائح والضوابط:** وجود لوائح صارمة وضوابط صعبة قد تكون عقبة أمام استقطاب الزوار. يجب تبسيط الإجراءات وتطوير لوائح تشجع على تطوير قطاع السياحة الدينية.

-**التأشيرات والتصاريح:** الإجراءات البيروقراطية المعقدة للحصول على التأشيرات والتصاريح تثبت عائقًا أمام وصول الزوار الراغبين في زيارة المواقع الدينية في العراق.

2. المعوقات السياسية

-**الاستقرار السياسي:** عدم الاستقرار السياسي يؤدي إلى تراجع الثقة في الأمان، مما يثني السياح عن زيارة المواقع الدينية في العراق.

-**التوترات الإقليمية:** التوترات في المنطقة تؤثر على سلامة السياح وتجعل السفر إلى المناطق الدينية أمرًا صعبًا.

3. المعوقات الاقتصادية

-**ضعف البنية الاقتصادية:** قلة الاستثمار في البنية التحتية للسياحة الدينية، مثل الفنادق ووسائل النقل، تقوم بتقييد تجربة الزوار وتقليل جاذبيتها.

-**تأثير الاقتصاد الوطني:** الضغوط الاقتصادية الوطنية تجعل الاستثمار في قطاع السياحة أقل جاذبية، مما يؤثر على جودة الخدمات المقدمة.

4. البنى التحتية

-**نقص البنية التحتية:** قلة الاستثمار في البنية التحتية تشمل الطرق، وسائل النقل، والاتصالات، مما يجعل الوصول إلى المواقع الدينية أمرًا صعبًا.

-**نقص الفنادق والمرافق:** قلة الخدمات السياحية المتاحة تقلل من جاذبية الوجهات الدينية في العراق.

5. المعوقات التسويقية

-**نقص الحملات التسويقية:** الجهود المحدودة في التسويق السياحي تؤدي إلى عدم انتشار الوعي بالمواقع الدينية المهمة في العراق.

-**الصورة السلبية:** الصورة السلبية للعراق في وسائل الإعلام العالمية تعتبر تحديًا إضافيًا يجب التغلب عليه لجذب السياح.

بإزالة هذه المعوقات، يمكن للعراق تحقيق إمكانيات كبيرة في تطوير قطاع السياحة الدينية واستقطاب زوار من مختلف أنحاء العالم.

المبحث الثالث: تصميم برنامج تعظيم الموازنة وتحليل عوائد وأرباح هيئة السياحة للسنوات الثلاث

اولاً: عوائد وارباح هيئة السياحة للسنوات (2021\2022\2023):

تعتبر السياحة الدينية من القطاعات الحيوية في العديد من الوجهات السياحية، ولذلك يكون فهم التغيرات في الإيرادات ذات أهمية كبيرة لتطوير استراتيجيات السياحة وتعزيز الاقتصاد الوطني. استعراضًا للإيرادات التي حققتها هيئة السياحة من السياحة الدينية خلال الفترة من عام 2021 إلى عام 2023. يأتي هذا التحليل استنادًا إلى البيانات المقدمة في الجدول:

الدائرة	السنة	المبلغ	معدل النمو	معدل الانخفاض	الملاحظات
دائرة المجاميع السياحية	2021	2742758800	---	5011013856	وذلك بسبب ما تعرض له العالم جراء فايروس كوفيد -19
	2022	7753772656	تحقيق نمو	---	
	2023	6503271712		1250500944	بسبب اجراءات اعفاء الزوار الاجانب والدول الاسلامية والعربية الدخول الى العراق عبر المنافذ والمطارات بموجب قرارات مجلس الوزراء الموقر.

في العام 2021، سجلت هيئة للسياحة إيرادات بلغت 2،742،758،800، والتي تمثل نقطة انطلاق هذه الدراسة. ثم تم رصد تطور ملحوظ في هذه الإيرادات في العام التالي، حيث ارتفعت إلى 7،753،772،656 في عام 2022. يُظهر هذا الارتفاع الكبير تفضيل السياح للسياحة الدينية وتزايد الاهتمام بها خلال هذه الفترة. وعلى الرغم من النمو الكبير في العام الثاني، إلا أن العام الثالث شهد انخفاضًا قليلاً في الإيرادات عند 6،503،271،712 في عام 2023. في حين تشير الأسباب المرتبطة بارتفاع ميزانية السياحة الدينية إلى استراتيجية الخمس سنوات التي وضعتها الهيئة. تنص هذه الاستراتيجية على دعم وتنمية القطاع السياحي بشكل عام، مع التركيز بشكل خاص على السياحة الدينية. نتيجة لتنفيذ هذه الاستراتيجية، سجلت السياحة الدينية نجاحًا في ميزانية العام 2022، مما أسهم في تحقيق نتائج إيجابية في الميزانية التشغيلية والتخطيطية لهيئة السياحة.

على الجانب الآخر، يعود انخفاض العوائد المالية لقطاع السياحة الدينية إلى سلسلة من القرارات الصادرة عن الجهات العليا، بما في ذلك قرارات رئيس الوزراء بإعفاء الزوار الإيرانيين، الباكستانيين، والأفغان من رسوم الدخول والتأشيرات. هذه الإعفاءات المتعددة أسهمت بشكل كبير في تقليل الإيرادات المرتبطة بالسياحة الدينية، وبالتالي أثرت سلبًا على قيمة الإيرادات المتاحة لهيئة السياحة. ينبغي أن يُعزى تأثير هذه الإعفاءات إلى العديد من التحديات التي تعترض نهضة السياحة الدينية على مستوى العراق.

ثانياً: استكشاف حلول لمعوقات السياحة الدينية في العراق

أ. التحسينات التشريعية:

-تبسيط اللوائح والضوابط:

- إجراء تقييم شامل للوائح الحالية والضوابط المعمول بها، والعمل على تبسيطها لتسهيل إجراءات الزيارة للمواقع الدينية.

-تسهيل إجراءات التأشيرات والتصاريح:

- إجراء تحسينات في عمليات الحصول على التأشيرات والتصاريح، مع تقديم إجراءات بيروقراطية أكثر سهولة للزوار الراغبين في زيارة المواقع الدينية.

ب. التغلب على المعوقات السياسية:

- تحقيق الاستقرار السياسي:

- تعزيز الجهود الوطنية لتحقيق الاستقرار السياسي من خلال تعزيز التفاهم والحوار بين الأطراف المعنية.

التخفيف من التوترات الإقليمية:

- التعاون مع المنظمات الإقليمية لتحقيق استقرار المنطقة وتقديم ضمانات أمان للسياح الراغبين في زيارة المواقع الدينية.

ج. تعزيز البنية التحتية والاقتصاد

لتعزيز البنية التحتية والاقتصاد لدعم السياحة الدينية في العراق، يمكن اتخاذ عدة إجراءات:

1. تطوير البنية التحتية:

- الاستثمار في تطوير الطرق ووسائل النقل لتسهيل وصول الزوار إلى المواقع الدينية.
- تحسين الفنادق ووسائل الإقامة لتلبية احتياجات السياح بمعايير عالية.

– تعزيز البنية التحتية الرقمية وتوفير خدمات الإنترنت لتحسين تجربة الزوار.

2. تعزيز الاستثمار الاقتصادي:

– إنشاء برامج لجذب الاستثمارات في مشاريع السياحة الدينية.

– تشجيع ريادة الأعمال وتوفير دعم مالي وفني للمشروعات الصغيرة والمتوسطة في القطاع السياحي.

– تعزيز التعاون بين القطاعين العام والخاص لتحفيز النشاط الاقتصادي المرتبط بالسياحة.

3. تحسين البيئة الاستثمارية:

– تسهيل الإجراءات الإدارية والتشريعية لتشجيع على الاستثمار في القطاع السياحي.

– تقديم حوافز مالية وضريبية للمستثمرين في مشاريع السياحة الدينية.

4. تنمية القوى العاملة:

– توفير تدريب وتأهيل للكوادر السياحية لتحسين جودة الخدمات المقدمة.

– تشجيع على توظيف المحليين وتطوير مهاراتهم لتعزيز الفرص الوظيفية.

د. العمل على التسويق وتحسين الصورة الدولية

لتحسين التسويق والصورة الدولية لدعم السياحة الدينية في العراق، يمكن اتخاذ الخطوات التالية:

1. حملات تسويق دولية:

– إطلاق حملات ترويجية دولية موجهة للسوق العالمية لتسليط الضوء على المواقع الدينية الرائعة في العراق.

– استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والإعلانات الرقمية للوصول إلى جمهور واسع وتحفيز الفضول بزيارة المعالم الدينية.

2. تطوير الموارد السياحية:

– تحسين وتوسيع البنية التحتية السياحية، مثل الفنادق ووسائل النقل، لتلبية احتياجات الزوار.

– تطوير المرافق السياحية في المواقع الدينية لتحسين تجربة الزوار.

3. تنظيم فعاليات دينية وثقافية:

– تنظيم فعاليات دينية وثقافية تقوم بجذب الانتباه وتسلط الضوء على التراث الثقافي والديني الفريد في العراق.

4. تعزيز الأمان والاستقرار:

– اتخاذ إجراءات لتحسين الأمان والاستقرار في المناطق السياحية لضمان راحة الزوار.

5. التعاون مع الوسائل الإعلام:

– التعاون مع وسائل الإعلام الدولية لنقل الصورة الإيجابية للعراق وتسليط الضوء على الجوانب الجمالية والثقافية.

6. برامج تدريب للموظفين السياحيين:

– توفير برامج تدريب للموظفين في قطاع السياحة لتحسين جودة الخدمة والضيافة.

7. المشاركة في المعارض والفعاليات السياحية:

– المشاركة في معارض وفعاليات سياحية دولية للترويج للوجهات الدينية في العراق.

ثالثا: توصيات لتحسين واقع السياحة الدينية في العراق

1. تبسيط إجراءات الحصول على التأشيرات للزوار الراغبين في زيارة المواقع الدينية.
2. إعفاء الزوار الدينيين من بعض الرسوم الجمركية والضرائب.
3. تطوير برامج تعليم للسائقين والمرشدين السياحيين حول القيم الثقافية والدينية.
4. تحسين الأمن في المناطق السياحية من خلال تعزيز الإجراءات الأمنية.
5. إطلاق حملة إعلانية دولية للترويج للمواقع الدينية في العراق.
6. توفير دورات تدريبية للعاملين في القطاع السياحي لتحسين خدمات الضيوف.
7. تعزيز التعاون بين القطاعين الحكومي والخاص لتطوير مشاريع السياحة الدينية.
8. تطوير المرافق السياحية في المواقع الدينية مثل المطاعم والفنادق.
9. إقامة معارض سياحية دولية لجذب المستثمرين في القطاع.
10. تطوير برامج سياحية متنوعة تشمل زيارة المزارات الدينية والأماكن التاريخية.
11. تطوير وسائل النقل العامة والخاصة لتسهيل وصول الزوار إلى المواقع الدينية.
12. تحسين بنية الطرق والتشجيع على تطوير البنية التحتية.
13. تشجيع شركات الطيران على تقديم رحلات مباشرة إلى المطارات القريبة من المواقع الدينية.
14. تحسين جودة الخدمات الطبية والصحية في المناطق السياحية.
15. توفير دلائل سياحية وخرائط إرشادية عالية الجودة للزوار.

خاتمة:

في الختام، يتضح أن تعزيز السياحة الدينية يمثل خطوة حيوية نحو تحفيز الاقتصاد وتحسين موازنة الدولة. من خلال تحليل المعوقات، وايجاد الحلول، وتنمية الفرص، يمكن تعزيز هذا القطاع وتحقيق تأثير إيجابي على مستوى الدخل الوطني. تسهيل الإجراءات التشريعية وتعزيز البنية التحتية سيسهمان في تحقيق هذه الرؤية الاستراتيجية. بالإضافة إلى ذلك، تحسين التسويق وتغيير الصورة العامة سيساهمان في جعل السياحة الدينية مصدرًا مستدامًا وجاذبًا للمزيد من الزوار. يتعين علينا العمل بتعاون وثيق بين القطاعين الحكومي والخاص لتحقيق هذه الرؤية والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة.

المصادر:

1- الياس، سراب، وآخرون، تسويق الخدمات السياحية، دار المسيرة للنشر عمان، الطبعة الأولى، 2002.
4- السياحة الدينية وواقع الخدمات الفندقية وأساليب تطويرها في محافظة النجف الأشرف شارك ضمن الندوة العلمية الثانية / أقامها مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة بتاريخ 9 / نيسان / 1995 الدكتور هاشم حسين ناصر المحنك بتصرف
5- السياحة الدينية في العراق: الواقع والمأمول- دراسة وصفية - محسن حسن -مركز البيان للدراسات والتخطيط Al-Bayan Center for Planning and Studies
6- وثيقة خطة التنمية الوطنية 2018 / 0، وزارة التخطيط العراقية، ص: 17، متاح على: https://mop.gov.iq/static/uploads/.pdf
7- تقرير السياحة الدولية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الآفاق والتحديات 2017، الصادر عن مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية سيسريك، ص: 18، متاح على: http://www.sesric.org/dloads/TourismReport2017/ARA/InternatReport_AR_2017.pdf
-8سجاد قاسم، الدور الاقتصادي للقطاع السياحي في العراق، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة القادسية، 2017، ص: ، متاح على: http://qu.edu.iq/repository/wp-.pdf
9. تقرير مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية تحت عنوان أزمة تضرب السياحة الدينية في العراق بسبب العقوبات على إيران، نقلاً عن صحيفة العرب اللندنية، بتأريخ 16 /8 /2018، متاح على:http://rawabetcenter.com/archives/71767.
10. وأيضاً باعتبار الثقافة الدينية جزءاً لا يتجزأ من اهتمامات الوافدين للسياحة الثقافية.
11. انظر: وثيقة خطة التنمية الوطنية 2018 / 0، مصدر سبق ذكره، ص: 38 بتصرف يسير.
12. انظر: وثيقة مسح الفنادق ومجمعات الإيواء السياحي لسنة 2016، وزارة التخطيط العراقية، الجهاز المركزي للإحصاء،cosit.gov.iq/documents/trade/tourism.
13 . انظر: وثيقة خطة التنمية الوطنية 2018، مصدر سبق ذكره، ص: 38
14. انظر: وثيقة مسح الفنادق 2016، مصدر سبق ذكره، ص: بتصرف في الصياغة.
15. المصدر السباق نفسه، الصفحة نفسها.
16. وزارة الثقافة والسياحة والاثار/ هيئة السياحة، قسم التخطيط والمتابعة/دائرة المجاميع السياحية.
17. وزارة الثقافة والسياحة والاثار/ هيئة السياحة، قسم التخطيط والمتابعة.
18. د. رقية علي الوكيل، السياحة في محافظة السماوة وإمكانية تنميتها، دار ومكتبة المنتدى الثقافي العربي، العراق-بغداد، الطبعة الأولى 2018.
19. د. رؤوف محمّد علي الأنصاري، اثار السياحة الدينية على اقتصاد العراق وتكوين الناتج الوطني، ورقة دراسة موجزة.
20. صلاح الدين عبد الوهاب، السياحة الدولية، دار الهنا للطباعة، القاهرة 1987.